صوت العراق المسلم

العدد : ٢٢٥ الموافق في ذو القعدة ١٤٢١ هجري ٢ / ٢٠٠١ ميلادي

عنوان المقال : أسياد لا عبيد .. وكل يوم يسقط شهيد	بقلم : أم ياسر

مما يرسخ في الذاكرة من أيام الطفولة بعض الأشعار التي تركت أثراً كبيراً في النفس فأبقاها محفوظة رغم مرور السنين ، ومن ذلك قصيدة للشاعرة العراقية " نازك الملائكة " بعنوان " الشهيد " ، وهذا نصها :

في دجى الليل العميق
رأسه النشوان ألقوه هشيماً
وأراقوا دمه الصافي الكريما
فوق أحجار الطريق
حسبوا الإعصار يُلْوَى
إن تحامَوْه بستر أو جدار
ورأوا أن يطفؤوا ضوء النهار
غير أن المجد أقوى
ومن القبر المعطر
لم يزل منبعثاً صوت الشهيد
طيفه أثبت من جيش عنيد
جاثم لا يتقهقر
وسيبقى في ارتعاش
في أغانينا ، وفي صوت النخيل
في خطا أغنامنا ، في كل حين
في أراضينا العطاش
يا لحمقى أغبياء
منحوه حين أردوه
وشباباً وخلوداً
وجمالاً ونقاء

هذه صورة من صور المستعمر الغاصب ، والبطش بمن يقاومه ، وقد ذكرتْ هذه القصيدة في الأربعينات ، وهي تتكرر وتظهر لنا كل يوم على شكل مختلف ولون جديد . ربما كانت تجري في الظلام ، أو في الخفاء ، بعيداً عن أعين الناس . أما الآن فهي تجري في وضح النهار على مسمع العالم ومرآه . الجميع يشاهد ذلك ، وهم بين شامت متشفٍ أو متفرج متسلٍ ، قد مات لديه الشعور النبيل بإنسانية الإنسان ، وواجب الإنسان نحو أخيه الإنسان ، ولسان حاله يقول : رب أسألك نفسي . وبين حر أبيّ ، يكره الظلم والاستعباد ، ويريد أن يصرخها مدوية ضد الجبروت والطغيان ، لكنه مكتوف اليدين ، مقيد القدمين ، قد كُم فوه ، وكتمت أنفاسه ، في قلبه غضب يمزق قلبه ويؤجج في صدره ناراً يريد أن يحرق بها كل من حوله من هؤلاء اللئام .

هذا الصنف الأخير يمثل معظم أبناء شعوبنا الإسلامية ، فهم عاجزون عن تغيير هذا الواقع ، يتحرقون ، ويتمزقون ، وينظرون إلى حدود قد حالت بينهم وبين إخوانهم في فلسطين ، إن اقتربوا منها أفرغت البنادق في رؤوسهم ، ونزعت اللقمة من أفواه صبيانهم ، مقيدون بحكومات جائرة جاثمة على صدورهم فلا يستطيعون حراكاً ، وما هي إلا قطع شطرنج وضعها أعداء الأمة يحركها كيفما شاء ، ويرميها بعيداً حينما يشاء .

ونعود إلى صورة الشهيد ، التي تتكرر كل يوم وكل ساعة ، وها هي وسائل الإعلام في سائر أنحاء الأرض تعرض ذلك المشهد قبل أيام ، الكل يتفرج ، لكن لا شيء يتغير .. إنه شاب فلسطيني في الربيع الرابع والعشرين من عمره ، وقف حراً أبياً يحارب الظلم والاستعباد ويدافع عن حمى الإسلام ، فما تلبث رصاصات جنود الاحتلال تتلقفه على قدميه فإذا سقط تناوشته في سائر جسده ، وفي رأسه وصدره خاصة ، ثم تتلقفه أيدي أربعة أو خمسة جنود فيحملونه كلٌ من يدٍ أو قدمٍ كالشاة الذبيحة ، وقد تدلى رأسه يقطر دماً ، مسطراً قصة الفداء ضد الأعداء ، ويرتطم رأسه الكريم بالأرصفة وأحجار الطرقات حتى تصل تلك الطغمة إلى وكرها العسكري فتستقبلها جماعة من المستوطنين بالتقبيل والعناق ، والتصفيق والغناء ، ثم توزع الحلوى ويشرب نخب هذا الانتصار العظيم !!!

إن هذا الدم الكريم هو شاهد على جرائم اليهود في فلسطين ، ومن ورائهم أمريكا ، دولة الديمقراطية ، وشرطي العالم ولكن للدفاع عن مبادئها وحفاظاً على مصالحها ، وإلا فالحرب والقتل والتشريد ، والفقر والحرمان ، والإفساد هو مصير كل من يقف في وجهها . إن ما وصل إليه الصهاينة من الصلف والجور والغطرسة والجبروت هو بفضل أمريكا وأعدائها لهم على كل صعيد .

عندما كنا صغاراً كان يضر المثل بجبن اليهودي ورعبه وخوفه من لقاء المسلم وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه الكريم في قوله : { **لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ۞ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ** } [الحشر : ١٣-١٤] .

إن الله تعالى حق وقوله حق ، وقد كان ذلك فعلاً يوم كان المسلمون صفاً واحداً دفاعاً عن هذا الدين ، يجتمعون على محبة الله وأخوة الإسلام بقلوب صافية محبة ، أما الآن فقد اختلف الأمر ، ولن يتغير هذا الحال حتى يعودوا إلى ما كانوا عليه : { ... **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ... } [الرعد : ١١] ، ولن يكتب لهذه الأمة النصر إلا بنصرتها لهذا الدين : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** } [محمد : ٧] .

إن الجرح يتسع ، والهم يكبر ، والمصيبة تستفحل ، وأرض الإسراء تنادي :

ضجت رحاب القدس وانتفض الثرى وتفجر البركان من أم القرى
يا ثالث الحرمين إن العهد في أعناقنا قد صار عهداً أكبراً
أتداس أقداس الجدود تعنتاً ومساجد التقوى تهان وتزدرى
والمسجد الأقصى يخضب بالدما والكون كل الكون أعمى لا يرى
فلنرفع الصوت الأبي مجلجلاً تصغي له الدنيا تصيخ له الذرى
إما حياةً فوق هامات العلا أو في جنان الخلد تجرع كوثرا